

سورة الملك

مكيّة في قول الجميع. وتُسَمَّى: الواقية والمُنْجِيّة. وهي ثلاثون آية^(١) روى الترمذي عن ابن عباس قال: ضَرَبَ رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ خِباءَهُ على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورةَ الملكِ حتى خَتَمَها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ضربتُ خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورةَ الملكِ حتى ختمها! فقال رسولُ الله ﷺ: «هي المانعةُ، هي المُنْجِيّةُ؛ تُنْجِيهِ من عذابِ القبرِ». قال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ^(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَدِدْتُ أَنْ «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» في قلب كلِّ مؤمن». ذكره الثعلبي^(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ سُوْرَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى أُخْرِجَتْهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ». خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِمَعْنَاهُ، وَقَالَ فِيهِ: حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٤).

وقال ابن مسعود: إذا وُضِعَ المَيِّتُ في قبره فيؤْتَى من قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فيُقَالُ: ليس

(١) الكشاف ١٣٣/٤.

(٢) سنن الترمذي (٢٨٩٠)، وكلامه بتمامه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة. اهـ. وفيه يحيى بن عمرو النكري وهو ضعيف. وذكر الحديث الذهبي في ميزان الاعتدال ٣٩٩/٤ وعده من مناكير يحيى.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٦١٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٧/٧: وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف. وأخرجه الحاكم في مستدرکه ٥٦٥/١ من طريق حفص بن عمر المدني وقال: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح، ولم يخرجاه. وتعبه الذهبي فقال: حفص واه.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩١)، وأخرجه أيضاً بمثل لفظ الترمذي: أحمد (٧٩٧٥)، وأبو داود (١٤٠٠)، والنسائي في الكبرى (١١٦١٢)، وابن ماجه (٣٧٨٦). وهو بلفظ المصنف عند الحاكم في مستدرکه ٤٩/٢.

لكم عليه سبيل، فإنه كان يقوم بسورة الملك على قدميه. ثم يُؤتى من قبل رأسه، فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل، إنه كان يقرأ بي^(١) سورة الملك، ثم قال: هي المانعة من عذاب القبر^(٢)، وهي في التوراة سورة الملك؛ من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب^(٣). وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل؛ من البركة. وقد تقدم^(٤). وقال الحسن: تقدّس. وقيل: دام. فهو الدائم الذي لا أول لوجوده، ولا آخر لدوامه.

﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ أي: ملك السماوات والأرض في الدنيا والآخرة^(٥). وقال ابن عباس: بيده الملك؛ يُعزّز من يشاء، ويُذلّ من يشاء، ويُحيي ويميت، ويُغني ويُفقّر، ويُعطي ويمنع^(٦). وقال محمد بن إسحاق: له ملك النبوة التي أعزّها بها من اتبعه، وذلّها من خالفه. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إنعام وانتقام^(٧).

(١) في (ف) في، وليست في (د) و(ظ) و(ف). والمثبت من (خ) و(ز) و(م).

(٢) في النسخ عدا (ظ): عذاب الله.

(٣) في (د) والمستدرک وشعب الإيمان: أظنّب. والمثبت من بقية النسخ والمصادر الآتية، وقول ابن مسعود أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٠٢٥)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٨٦٥١)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه ٤٩٨/٢، وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٠٩). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال: الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٨/٧: وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة. وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) ٢٤٤/٩ و ٣٦٤/١٥ - ٣٦٥.

(٥) النكت والعيون ٤٩/٦.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٩/٨ مختصراً.

(٧) النكت والعيون ٤٩/٦. وكلام محمد بن إسحاق منه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْعَفُورُ ﴿١﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ﴾ قيل: المعنى خلقكم للموت
والحياة؛ يعني: للموت في الدنيا، والحياة في الآخرة^(١).

وقدّم الموت على الحياة؛ لأنّ الموت إلى القهر أقرب؛ كما قدّم البنات على
البنين فقال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً﴾ [الشورى: ٤٩].

وقيل: قدّمه لأنّه أقدم؛ لأنّ الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت؛ كالنظفة
والتراب ونحوه^(٢).

وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله تعالى أذلّ بني آدم بالموت،
وجعل الدنيا دار حياة ثمّ دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء»^(٣).

وعن أبي الدرداء أنّ النبي ﷺ قال: «لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه: الفقر،
والمرض، والموت، وإنّه مع ذلك لوثاب»^(٤).

المسألة الثانية: ﴿الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ﴾ قدّم الموت على الحياة، لأنّ أقوى الناس داعياً
إلى العمل من نصب موته بين عينيه؛ فقدّم لأنّه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له
الآية أهمّ^(٥).

(١) النكت والعيون ٥٠/٦ .

(٢) مجمع البيان ٦/٢٩ ، وينظر تفسير البغوي ٣٦٩/٤ .

(٣) النكت والعيون ٥٠/٦ . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٩١ ، والطبري مختصراً ٢٢٢/٦٣٦
و ١١٨/٢٣ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٨/١٧٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور
٦/٢٤٧ : لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وهو مرسل.

(٤) لم تقف عليه عن أبي الدرداء، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/٢٧٧ من قول سفيان بن عيينة.

(٥) الكشاف ٤/١٣٤ .

قال العلماء: الموت ليس بعدم مَحْضٍ، ولا فناءً صِرْفٍ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولةً بينهما، وتبدُّل حالٍ، وانتقالٌ من دار إلى دار. والحياة عكس ذلك^(١). وحكي عن ابن عباس والكَلْبِيِّ ومقاتل: أن الموت والحياة جسمان، فجعل الموت في هيئة كبشٍ لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرسٍ أنثى بلقاء - وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها - خطوها^(٢) مدُّ البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمرُّ بشيءٍ يجدُ ريحها إلا حَيَّي، ولا تطأ على شيءٍ إلا حَيَّي. وهي التي أخذ السَّامِرِيُّ من أثرها فآلقاه على العجل فَحَيَّي^(٣). حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس^(٤). وحكى الماوردي^(٥) معناه عن مقاتل والكلبي.

قلت: وفي التنزيل ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ثُمَّ ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، ثُمَّ قَالَ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. فالوسائط ملائكةٌ مكرَّمون صلوات الله عليهم. وهو سبحانه المميت على الحقيقة، وإنما يُمثَل الموت بالكبش في الآخرة^(٦) ويذبح على الصراط؛ حسب ما ورد به الخبر الصحيح^(٧). وما ذُكِر عن ابن عباس يحتاجُ إلى خبرٍ صحيح يقطع العذر. والله أعلم.

وعن مقاتل أيضاً: خلق الموت؛ يعني: النُّظْفَةُ والعَلَقَةُ والمُضْغَةُ، وخلق الحياة؛

(١) ينظر المفهم ١٤٥/٧.

(٢) في (ق) و(م) خطوتها.

(٣) سلف الخبر ١٢٧/١٤.

(٤) وذكره البغوي ٣٦٩/٤.

(٥) في النكت والعيون ٥٠/٦، ولفظة: حكي. من (ظ).

(٦) وقعت العبارة في (خ) و(ز) و(ف) و(ق): أما إنه يمثل الموت بالكبش في الآخرة، وفي (ظ): أما إنه

جاء بمثل الموت من الآخرة بكبش. والمثبت من (د) و(م).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

يعني: خَلَقَ إنساناً ونَفَخَ فيه الروح فصار إنساناً^(١).

قلت: وهذا قولٌ حسن؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْفُرُوا أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ وتقدَّم الكلام فيه في سورة الكهف^(٢).

وقال السُّدِّيُّ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْفُرُوا أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: أكثركم للموت ذكراً، وأحسنُ استعداداً، ومنه أشدُّ خوفاً وحذراً^(٣).

وقال ابن عمر: تلا النبي ﷺ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حتى بلغ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فقال: «أورعُ عن محارم الله، وأسرعُ في طاعة الله»^(٤).

وقيل: معنى «لِيَبْلُوكُمْ»: ليعاملكم معاملةً المختبر، أي: ليبُلُو العبدَ بموت من يعزُّ عليه؛ لِيُبَيِّنَ صبره، وبالحياء؛ لِيُبَيِّنَ^(٥) شكره. وقيل: خَلَقَ الله الموت للبعث والجزاء، وخالقُ الحياة للابتلاء. فاللام في «لِيَبْلُوكُمْ» تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت؛ ذكره الرَّجَّاجُ^(٦). وقال الفراء والرَّجَّاجُ أيضاً^(٧): لم تقع البلوى على «أي»؛ لأنَّ فيما بين البلوى و«أي» إضمارُ فعل؛ كما تقول: بلوتكم لأنظر أيكم أطوع. ومثله قوله تعالى: ﴿سَلَّمَهُ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] أي: سلّمهم، ثمَّ انظر أيهم. ف«أيكم»^(٨) رُفِعَ بالابتداء، و«أحسنُ» خبره^(٩). والمعنى: ليبلوكم فيعلم أو فينظر

(١) تفسير أبي الليث ٣/٣٨٦، وتفسير الرازي ٣٠/٥٥.

(٢) ٢٠٨/١٣ - ٢٠٩.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٨٨)، وذكره الماوردي في تفسيره ٦/٥٠.

(٤) هو حديث ضعيف وسلف ١١/٧٦.

(٥) في (ظ): ليتين. في الموضعين.

(٦) في معاني القرآن ٥/١٩٧.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٦٩، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١٩٧.

(٨) في (خ) و(ظ) و(ف) و(ق): فأيهم، وسقطت اللفظة من (د)، والمثبت من (م).

(٩) تفسير البغوي ٤/٣٦٩ وكلام الفراء السالف منه.

أَيْكُمْ^(١) أَحْسَنُ عَمَلًا.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه. ﴿الْفُورُ﴾ لمن تاب إليه^(٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنذِرْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض. والملتزق منها أطرافها؛ كذا روي عن ابن عباس. و«طِبَاقًا» نعت لـ «سَبْعَ»؛ فهو وصف بالمصدر. وقيل: مصدرٌ بمعنى المطابقة، أي: خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَطَبَّقَهَا تَطْبِيقًا أَوْ مَطَابَقَةً. أَوْ عَلَى: طُوِبِقَتْ طِبَاقًا^(٣).

وقال سيويه: نصب «طِبَاقًا» لأنه مفعولٌ ثانٍ.

قلت: فيكون «خَلَقَ» بمعنى جعل وصَيَّر.

وطِبَاق جمع طَبَق؛ مثل جَمَل وجِمَال. وقيل: جمع طبقة. وقال أبان بن تغلب: سمعتُ بعضَ الأعراب يذمُّ رجلاً فقال: شَرُّهُ طِبَاق، وخيرُهُ غير باق^(٤).

ويجوز في غير القرآن سبعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقٍ؛ بالخفض على النعت لسَمَاوَاتٍ^(٥).

ونظيره ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضْرٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ قراءة حمزة والكسائي: «مِن تَفَوتٍ» بغير ألف

مشددة. وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه^(٦). الباقون: «مِن تَفَاوتٍ» بألف. وهما

(١) لفظة: أَيْكُمْ. من (ظ) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٤/٤٧٦ والكلام منه.

(٢) لفظة: إِلَيْهِ. ليست في (د) و(م). والمثبت موافق لتفسير البغوي ٤/٣٦٩.

(٣) ينظر الكشاف ٤/١٣٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٣٣٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/١٨٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٣٣٨، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٦٤٤، والتيسير ص ٢١٢.

لغتان^(١)؛ مثل التعاهد والتعهد، والتحمل والتحامل، والتظهر والتظاهر، وتصاغر وتصغر وتضاعف وتضعف، وتباعد وتبعد؛ كله بمعنى.

واختار أبو عبيد «من تَفَوَّت» ، واحتجَّ بحديث عبد الرحمن بن أبي بكر: «أمثلي يُتَفَوَّتُ عليه في بَنَاتِهِ»^(٢)!

النَّحَاسُ^(٣) : وهذا أمرٌ مردودٌ على أبي عبيد؛ لأنَّ يُتَفَوَّتُ : يُفَاتُ بهم. «وتفاوت» في الآية أشبه. كما يقال: تباين يقال: تفاوت الأمر؛ إذا تباين وتباعد، أي: فات بعضها بعضاً. ألا ترى أن قبله قوله: تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾. والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاجٍ ولا تناقضٍ ولا تباين - بل هي^(٤) مستقيمةٌ مستويةٌ دالةٌ على خالقها - وإن اختلفت صوره وصفاته.

وقيل: المرادُ بذلك السماوات خاصة، أي: ما ترى في خلق السماوات من عَيْبٍ^(٥).

وأصله من الفَوْتُ؛ وهو أن يفوت شيءٌ شيئاً، فيقع الخلل لقلَّة استوائها^(٦)؛ يدلُّ

(١) هو قول الفراء في معاني القرآن له ١٧٠/٣ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤٦٨/٤ .

(٢) قطعة من خبر تزويج عائشة رضي الله عنها لحفصة بنت عبد الرحمن من المنذر بن الزبير، وعبد الرحمن غائب بالشام؛ أخرجه مالك ٥٥٥/٢ ، وعبد الرزاق (١١٩٤٧)، وسعيد بن منصور (١٦٦٦٢)، وابن أبي شيبة ١٣٤/٤ بلفظ يُفَاتُ. بدل يتفوت. وهما بمعنى. قال ابن الأثير في النهاية (فوت): يقال تَفَوَّتَ فلان على فلان في كذا، وافاتت عليه إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه . اهـ.

غير أن الحديث الذي احتج به أبو عبيد في غريب الحديث ٢٢٨/٢ ونقله عنه الرازي في تفسيره ٥٧/٣٠ هو حديث عائشة : قالت: فتوت رجل بمال نفسه على أبيه... أخرجه ابن أبي حاتم في العلل ٤٧٠/١ ، وابن عدي في الكامل ٦١١/٢ .

(٣) لم نقف على كلامه، ولعله في معانيه، وهو بنحوه في إعراب القرآن له ٤٦٨/٤ ، وذكر فيه اختيار أبي عبيد السالف .

(٤) في (ظ): كل شيء من سماء وغيرها. بدل: بل هي.

(٥) المحرر الوجيز ٣٣٨/٥ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٤ .

عليه قول ابن عباس رضي الله عنه: من تَفَرَّقَ^(١). وقال أبو عبيدة^(٢): يقال: تَفَوَّتَ الشيءُ، أي: فات.

ثم أمر بأن ينظروا في خلقه، ليعتبروا به، فيتفكروا في قدرته فقال: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: أُرِدُّدُ طَرَفَكَ إِلَى السَّمَاءِ. ويقال: قَلَّبَ البَصَرَ فِي السَّمَاءِ. ويقال: إِجْهَدَ بِالنَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ. والمعنى متقارب. وإنما قال: «فَارْجِعِ» بالفاء، وليس قبله فعلٌ مذكور؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «مَا تَرَىٰ».

والمعنى: انظر ثم ارجع البصر؛ هل ترى من فُطورٍ؟ قاله قتادة^(٣).

والفُطور: الشقوق، عن مجاهد والضحاك. وقال قتادة: من خَلَّلَ السُّدْيَ: من خُرِقَ. ابن عباس: من وَهَنَ^(٤). وأصله من التَّفَطَّرَ والانفطار، وهو الانشقاق. قال الشاعر:

بَنَى لَكُمْ بِإِلَاعِمِ سَمَاءٍ وَزَيَّنَهَا فَمَا فِيهَا فُطُورٌ^(٥)
وقال آخر:

شَقَقْتَ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَزْتَ فِيهِ هَوَاكِ فَلَيْمَ فَالْتَّمَامِ الْفُطُورِ
تَغْلُغِلُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا سَكَّرٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ^(٦)

(١) النكت والعيون ٥١/٦ .

(٢) في (ظ) أبو عبيد.

(٣) النكت والعيون ٥١/٦ ولفظه فيه: معناه فانظر إلى السماء.

(٤) النكت والعيون ٥١/٦ .

(٥) هو في البحر ٢٩٨/٨ بلفظ: وسواها. بدل: وزينها.

(٦) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كما في مجالس ثعلب ص ٢٣٦ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/١٣٥٤ ، والأغاني ٩/١٥١ ، باختلاف يسير وتقديم وتأخير. قال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة ٣/١٦٧ : فليم يحتمل وجهين: أحدهما - وهو الأشبه -: أن يريد لثم من الالتئام... والآخر: أن يكون ليم من اللأم، أي: لما عوتب كتم ما به فالتأم فطوره .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوَّجَ أَبْصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوَّجَ أَبْصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ «كرتين» في موضع المصدر؛ لأن معناه رجعتين، أي: مرّة بعد أخرى. وإنما أمر بالنظر مرتين؛ لأنّ الإنسان إذا نظر في الشيء مرّة لا يرى عَيْبَهُ ما لم ينظر إليه مرّة أخرى. فأخبر تعالى أنّه - وإنّ نظر في السماء مرتين - لا يرى فيها عيباً، بل يتحير بالنظر إليها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي: خاشعاً صاغراً متباعداً عن أن يرى شيئاً من ذلك.

يقال: خَسَأْتُ الكلبَ، أي: أبعدته وطرده. وخَسَأَ الكلبُ بنفسه؛ يتعدّى ولا يتعدّى. وانخَسَأَ الكلبُ أيضاً. وخَسَأَ بصرُهُ خَسْأً وخُسُوءاً، أي: سَدِرَ^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾^(٢). وقال ابن عباس: الخاسئ الذي لم ير ما يهوى^(٣).

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: قد بلغ الغاية في الإعياء. فهو فعيل^(٤) بمعنى فاعل؛ من الحُسُور الذي هو الإعياء. ويجوز أن يكون مفعولاً من حَسَرَهُ بُعْدَ الشَّيْءِ^(٥)، وهو معنى قول ابن عباس. ومنه قول الشاعر:

مَنْ مَدَّ طَرْفًا إِلَى مَا فَوْقَ غَايَتِهِ ارْتَدَّ خَسَانًا مِنْهُ الطَّرْفُ قَدْ حَسَرَا^(٦)

يقال: قد حَسَرَ بَصَرُهُ يَحْسِرُ حُسُورًا، أي: كَلَّ وانقطع نظره من طول مدّى، وما أشبه ذلك، فهو حَسِيرٌ ومحسورٌ أيضاً^(٧). قال:

(١) أي: لم يكد يبصر. اللسان (سدر).

(٢) الصحاح (خسأ).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ٥٨/٣٠.

(٤) قوله: فعيل، من (ظ).

(٥) ذكر الاحتمالين الأخيرين الرازي في تفسيره ٥٩/٣٠ وعزاهما للواحد.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥٢/٦.

(٧) الصحاح (حسر).

نظرتُ إليها بالمُحْصَبِ من مِنى فعادَ إليَّ الظَّرْفُ وهو حَسِيرٌ^(١)
وقال آخر يصف ناقة:

فَشَطَّرَهَا نَظَرُ الْعَيْنِينَ مَحْسُورٌ

نصب «شطرها» على الظرف، أي: نحوها^(٢).

وقال آخر:

والخَيْلُ شُعْتُ ما تزال جياذُها حَسْرَى تغادرُ بالطَّرِيقِ سِخَالِهَا^(٣)
وقيل: إنَّه النادم. ومنه قول الشاعر:

ما أنا اليومَ على شيءٍ خَلا يا ابنة القين تَوَلَّى بِحَسِيرٍ^(٤)
والمراد بـ «كَرَّتَيْنِ» هاهنا التكثير. والدليل على ذلك: ﴿يَقْلَبُ إِلَيْكَ أَبْصَرَ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ وذلك دليلٌ على كثرة النظر^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ جمع مصباح، وهو السراج. وتُسمى الكواكبُ مصابيحَ لإضاءتها^(٦).

(١) لم نقف عليه.

(٢) الصحاح (حسر)، وشطر البيت المذكور هو لقيس بن خويلد الهذلي، وصدرة: إن الحسير بها داء مخامرة. وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٦٦.

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٨١ وفيه: بالخيل شعنتاً، بدل: والخيل شعث، و: رُجُوعاً، بدل: حسرى. وهو برواية المصنف عند الماوردي في النكت والعيون ٦/٥٢.

(٤) البيت للمرّار بن منقذ كما في المفضليات ص ٨٢. وفيه: مضى، بدل: خلا، و: القوم، بدل: القين، وهو برواية المصنف في النكت والعيون ٦/٥٢.

(٥) الكلام بنحوه في الكشاف ٤/١٣٥، ومجمع البيان ٧/٢٩.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/٣٢٧، وتفسير البغوي ٤/٣٧٠.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾ أي: جَعَلْنَا شُهُبَهَا؛ فحذف المضاف. دليله ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصفات: ١٠]. وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يُرجم بها. وقيل: إنَّ الضمير راجع إلى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه، إنما ينفصلُ منه شيءٌ يُرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته؛ قاله أبو علي^(١) جواباً لمن قال: كيف تكون زينة وهي رجومٌ لا تبقى؟

قال المهدوي: وهذا على أن يكون الاستراق من موضع الكواكب، والتقدير الأول على أن يكون الاستراق من الهوى^(٢) الذي هو دون موضع الكواكب.

القشيري: وأمثلة من قول أبي علي أن نقول: هي زينة قبل أن يُرجم بها الشياطين. والرجوم: جمع رجم، وهو مصدرٌ سُمي به ما يرجم به^(٣).

قال قتادة: خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى النُّجُومَ لثَلَاثَ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْأَوَاقَاتِ. فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَتَعَدَّى وَظَلَمَ^(٤).

وقال محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلاً^(٥)، ويتخذون النجوم علة^(٦).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: أَعْتَدْنَا لِلشَّيَاطِينِ أَشَدَّ الْحَرِيقِ؛ يُقَالُ: سَعَرْتُ النَّارَ؛ فَهِيَ مَسْعُورَةٌ وَسَعِيرٌ؛ مِثْلُ: مَقْتُولَةٌ وَقَتِيلٌ. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ﴾.

(١) هو الجبائي. وذكر معنى كلامه الطبرسي في مجمع البيان ٧/٢٩. وينظر الكشاف ٤/١٣٥.

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: الهوى، ويعني به الفراغ.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/٥٩.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/١٢٣، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٩/٢٩١٣ (١٦٥٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٠٦) مطولاً.

(٥) لفظه: سبيلاً. من (د) و(م) وليست في باقي النسخ والمصادر.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨٣١ (١٦٠٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٧١٠)، وفيهما وفي الدر المنثور ٣/٣٥: يتبعون الكهنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا﴾ يعني الكفار ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ أي: صَوْتًا. قال ابن عباس: الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها؛ تَشَهَّقُ إليهم شهقة البغلة للشعير، ثم تَزْفِرُ زفرة لا يبقى أحدٌ إلا خاف. وقيل: الشَّهيقُ من الكفار عند إلقاءهم في النار^(١)؛ قاله عطاء^(٢). والشَّهيقُ في الصدر، والزَّفِيرُ في الحلق. وقد مضى في سورة هود^(٣). ﴿وَهِيَ تَفُورٌ﴾ أي: تَغْلِي، ومنه قولُ حسان^(٤):

ترَكْتُمْ قَدْرَكُمْ لا شَيْءَ فِيهَا وَقَدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ
قال مجاهد: تفورُ بهم كما يفور الحَبُّ القليلُ في الماء الكثير^(٥). وقال ابن عباس: تَغْلِي بهم غلي المِرْجَل^(٦)؛ وهذا من شدة لَهَبِ النار من شدة الغضب؛ كما تقول: فلانُ يفور غَيْظًا.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَنْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾
﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يعني: تتقطَّعُ وَيَنْفَصِلُ بعضها من بعض؛ قاله سعيد بن جبَّير^(٧). وقال ابنُ عباس والضَّحَّاك وابنُ زيد: تتفرَّق. «مِنَ الْغَيْظِ»: من شدة

(١) النكت والعيون ٥٣/٦.

(٢) وقول عطاء - كما ذكره الرازي في تفسيره ٦٣/٣٠ -: سمعوا لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقًا.

(٣) ٢١١/١١ - ٢١٢.

(٤) بل هو من قول جبل بن جوال الثعلبي يخاطب به حسان بن ثابت ؓ. ينظر سيرة ابن هشام ٢٧٣/٢ ، وديوان حسان ص ١١٠ ، وسلف ١١٦/١١ .

(٥) ذكره الواحدي ٣٢٧/٤ ، والبغوي ٣٧٠/٤ .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ٦٣/٣٠ .

(٧) النكت والعيون ٥٣/٦ .

الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: «مِنَ الْغَيْظِ»: من الغليان^(١). وأصل «تميز»: تمييز
﴿كَلِمًا أَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: جماعة من الكفار. ﴿سَأَلْتُمُ خَزَائِنَهَا﴾ على جهة التوبيخ
والتفريع: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسولٌ في الدنيا يندركم هذا اليوم حتى تحذروا.
﴿قَالُوا بَلْ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ أنذرنا وخوفنا. ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن سَمِيٍّ﴾ أي: على
الستكم. ﴿إِن أَنْتُمْ﴾ يا معشر الرسل ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ اعترفوا بتكذيب الرسل. ثم
اعترفوا بجهلهم^(٢)؛ فقالوا وهم في النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ من النذر - يعني الرسل - ما
جاؤا به ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عنهم. قال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله^(٣)، أو: لو
كنا نسمع سماع من يعي ويفكر، أو نعقل عقل من يميز وينظر^(٤). ودل هذا على أن
الكافر لم يُعْطَ من العقل شيئاً. وقد مضى في «الطور» بيانه^(٥) والحمد لله.

﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني ما كنا من أهل النار. وعن أبي سعيد الخدري عن
رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد ندم الفاجر يوم القيامة قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فقال الله تعالى: ﴿فَاعْرَوْا بِذُنُوبِهِمْ﴾»^(٦). أي: بتكذيبهم الرسل.
والذنب هاهنا بمعنى الجمع؛ لأن فيه معنى الفعل. يقال: خرَجَ عطاءُ الناس، أي:
أعطيَتهم^(٧).

﴿فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: فبعُدْ لهم من رحمة الله. وقال سعيد بن جبير وأبو

(١) النكت والعيون ٥٣/٦. وتفسير الطبري ١٢٤/٢٣ - ١٢٥.

(٢) الوجيز للواحدى (بحاشية مراح لبيد) ٣٨٩/٢ - ٣٩٠.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٣٧١/٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٩٩/٥.

(٥) ٥٣٤/١٩.

(٦) أخرجه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي) (٨٤٠) من طريق داود بن المحبر. قال الحافظ ابن حجر في
المطالب العالية ١٣/٣: [أحاديث] كتاب العقل لداود بن المحبر أودعها الحارث بن أبي أسامة في
مسنده، وهي موضوعة كلها، لا يثبت منها شيء.

(٧) في (ظ): أعطيَتهم، والكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٢٦/٢٣.

صالح: هو وادٍ في جهنم يُقال له: السُّحْقُ^(١). وقرأ الكسائي وأبو جعفر: «فَسُحْقًا»
بضَمِّ الحاء^(٢)، ورُوِيَ عن علي^(٣). الباكون بإسكانها، وهما لغتان مثل السُّحْتُ
والرُّغْبُ. الزَّجَّاجُ^(٤): وهو منصوبٌ على المصدر، أي: أسحَقَهُم الله سُحْقًا، أي:
باعدهم بُعْدًا. قال امرؤ القيس:

يجولُ بأطرافِ البلادِ مُغْرِبًا وتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلِّ مَسْحَقِ^(٥)
وقال أبو علي^(٦): القياسُ: إسحاقًا، فجاء المصدر على الحذف؛ كما قيل:
وإن أهلك فذلك كان قَدْرِي^(٧)

أي: تقديري.

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ من قول خزنة جهنم
لأهلها^(٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٩)
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ نظيره: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾

(١) النكت والعيون ٥٣/٦ ، وقول سعيد بن جبیر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٣ .

(٢) قراءة الكسائي في السبعة ص ٦٤٤ ، والتيسير ص ٢١٢ ، وقراءة أبي جعفر - وهو من العشرة - في النشر ٢١٧/٢ من رواية ابن جمار عنه .

(٣) البحر المحيط ٣٠٠/٨ .

(٤) في معاني القرآن ١٩٩/٥ .

(٥) ديوان امرئ القيس ص ١٧١ ، وفيه: بأفاق. بدل: بأطراف. قال شارحه: وتسحقه: أي تبعده وتذهب به .

(٦) في الحجة ٣٠٧/٦ .

(٧) هو عجز بيت صدره: فإن يبرأ فلم أنث عليه. ذكره صاحب المفضليات ص ٧٠ ، ونسبه لرجل من عبد القيس. وذكره أبو علي في الحجة ١٢٩/٢ ، وابن الشجري في أماليه ١١٠/٢ دون نسبة. وفي المصادر: يهلك. بدل: أهلك.

(٨) الكشف ١٣٦/٤ ، والمحزر الوجيز ٣٤٠/٥ .

[ق: ٣٣]. وقد مضى الكلام فيه. أي: يخافون الله، ويخافون عذابه الذي هو بالغيب، وهو عذاب يوم القيامة^(١). ﴿كُنتُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخبر، يعني: إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد ﷺ، أو جهرتم به؛ ف﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢) يعني بما في القلوب من الخير والشر.

ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي ﷺ، فيخبره جبريل عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: أسرُّوا قولكم كي لا يسمع ربُّ محمد^(٣)، فنزلت: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾، يعني: أسرُّوا قولكم في أمر محمد ﷺ، وقيل: في سائر الأقوال. أو اجهرُوا به: أعلنوه.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ذات الصدور ما فيها؛ كما يسمَّى ولدُ المرأة وهو جنين: «ذا بطنها».

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ يعني: ألا يعلم السرُّ من خَلَقَ السرُّ؟! يقول: أنا خلقت السرُّ في القلب، أفلا أكون عالماً بما في قلوب العباد؟! وقال أهل المعاني: إن شئت جعلت «من» اسماً للخالق جلَّ وعزَّ؛ ويكون المعنى، ألا يعلم الخالق خلقه. وإن شئت جعلته اسماً للمخلوق، والمعنى: ألا يعلم الله من خلق. ولا بدَّ أن يكون الخالق عالماً بما خلقه وما يخلقه^(٤).

(١) ينظر الوسيط للواحدى ٣٢٨/٤، والمحرر الوجيز ٣٤٠/٥.

(٢) الكلام بنحوه في الكشاف ١٣٧/٤، ومجمع البيان ١٣/٢٩.

(٣) ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٤٧٠، والوسيط ٣٢٩/٤، والبغوي في تفسيره ٣٧١/٤.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٦٨/٣٠.

قال ابن المسيّب: بينما رجلٌ واقفٌ بالليل في شجرٍ كثير، وقد عصفت الريح، فوقع في نفس الرجل: أترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق؟ فنودي من جانب الغيضة بصوتٍ عظيم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني: من أسماء صفات الذات ما هو للعلم: منها: «العَلِيمُ»، ومعناه: تعميمُ جميع المعلومات. ومنها: «الْخَبِيرُ»، ويختصُّ بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون. ومنها: «الْحَكِيمُ»، ويختصُّ بأن يعلم دقائق الأوصاف. ومنها: «الشهيد»، ويختصُّ بأن يعلم الغائب والحاضر، ومعناه أنه لا^(١) يغيب عنه شيءٌ.

ومنها: «الحافظ»، ويختصُّ بأنه لا ينسى.

ومنها: «المُحْصِي»، ويختصُّ بأنه لا تشغله الكثرة عن العلم؛ مثل ضوء النور، واشتداد الريح، وتساقط الأوراق؛ فيعلم عند ذلك [عدد] أجزاء الحركات في كل ورقة. وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق؟! وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١٥)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ أي: سهلة تستقرون^(٣) عليها. والذُّلُول: المنقاد الذي يذلُّ لك، والمصدر: الذَّلُّ؛ وهو اللين والانقياد^(٤). أي: لم

(١) في (د): إذ لا. وفي (خ) (ز) و(ف) و(ق) و(م): أن لا. والمثبت من (ظ) وشعب الإيمان.

(٢) شعب الإيمان ١/١٢١، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في (ظ): يستقر.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٦٨/٣٠.

يجعل الأرضَ بحيثُ يمتنع المشي فيها بالحزونة والغِلظة^(١). وقيل: أي: ثبَّتْها بالجبال لثَلَا تَزُولَ بأهلها؛ ولو كانت تتكفأ متمايلةً لما كانت منقادةً لنا. وقيل: أشار إلى التمكن من الزرع والغرس، وشقَّ العيون والأنهار وحفر الآبار.

﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ هو أمرٌ بإباحة^(٢)، وفيه إظهار الامتنان. وقيل: هو خبرٌ بلفظ الأمر، أي: لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها، وآكامها وجبالها^(٣).

وقال ابن عباس وقتادة وبُشير بن كعب^(٤): «في مَنَاكِبِهَا»: في جبالها^(٥). ورُوِيَ أَنَّ بُشير بن كعب كانت له سُريّة فقال لها: إن أخبرتني ما مناكب الأرض فأنت حرّة. فقالت: مناكبها جبالها. فصارت حرّة، فأراد أن يتزوَّجها، فسأل أبا الدرداء فقال: دَع ما يَريُّك إلى ما لا يَريُّك^(٦).

مجاهد: في أطرافها. وعنه أيضاً: في طرقها وفجاجها^(٧). وقاله السُّديُّ والحسن^(٨). وقال الكلبي: في جوانبها. ومَنكِبَا الرجل: جانباه^(٩). وأصلُ المَنكِب الجانب، ومنه مَنكِب الرجل، والريح النكباء، وتَنكَّب فلانٌ عن فلان^(١٠). يقول:

(١) الوسيط للواحدى ٣٢٩/٤ .

(٢) تفسير الرازي ٦٩/٣٠ .

(٣) تفسير أبي الليث ٣٨٨/٣ .

(٤) هو أبو أيوب الحميري العدوي البصري، العابد، أحد المخضرمين، وثقه النسائي وغيره، وكان أحد القراء والزهاد. سير أعلام النبلاء ٣٥١/٤ .

(٥) النكت والعيون ٥٤/٦ .

(٦) تفسير أبي الليث ٣٨٨/٣، وأخرجه الطبري بنحوه ١٢٨/٢٣. وقول أبي الدرداء: «دع ما يريُّك إلى ما لا يريُّك» هو قطعة من حديث مرفوع أخرجه أحمد (١٧٢٣)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي في المجتبى ٣٢٧/٨. عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٧) تفسير مجاهد ٦٨٥/٢، وأخرجه الطبري ١٢٩/٢٣ .

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥٤/٦ عن مجاهد والسدي، وذكره عن الحسن البغوي ٣٧١/٤ .

(٩) وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٧٥، ونقله عنه أبو الليث في تفسيره ٣٨٨/٣، والبغوي ٣٧١/٤، والرازي ٦٩/٣٠. وقول الكلبي كما ذكره البغوي ٣٧١/٤. مناكبها: أطرافها.

(١٠) تفسير البغوي ٣٧١/٤ .

امشوا حيث أردتم فقد جعلتها لكم ذلولاً لا تمتنع.

وحكى قتادة عن أبي الجلد: أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ؛ فللسودان اثنا عشر ألفاً، وللروم ثمانية آلاف، وللفرس ثلاثة آلاف، وللعرب ألف^(١).

﴿وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ أي: مما أحله لكم؛ قاله الحسن. وقيل: مما أنبته^(٢) لكم. ﴿وَالْيَوْمَ الشُّورَى﴾: المرجع. وقيل: معناه أن الذي خلق السماء لا تفاوت فيها، والأرض ذلولاً قادرٌ على أن يُشركم^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾﴾

قال ابن عباس: أمِنْتُمْ عذاب من في السماء إن عصيتموه^(٤). وقيل: تقديره أمِنْتُمْ^(٥) من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته^(٦). وخصَّ السماء - وإن عمَّ ملكه - تنبيهاً على أن الإله الذي تنفذ قدرته في السماء، لا من يعظّمونه في الأرض. وقيل: هو إشارة إلى الملائكة^(٧). وقيل: إلى جبريل، وهو الملك الموكّل بالعذاب^(٨).

قلت: ويحتمل أن يكون المعنى: أمِنْتُمْ خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ أي: تذهب وتجيء. والمور: الاضطراب بالذهاب والمجيء.

قال الشاعر:

(١) النكت والعيون ٥٤/٦.

(٢) في (م) أتيته، والمثبت من النسخ الخطية والنكت والعيون ٥٥/٤ والكلام منه.

(٣) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٢٠٠/٥.

(٤) تفسير البغوي ٣٧١/٤، وزاد المسير ٣٢٢/٨.

(٥) في (م) أممتهم. في الموضوعين.

(٦) الوسيط للواحد ٣٢٩/٤، وتفسير الرازي ٧٠/٣٠.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥٥/٦ عن ابن بحر.

(٨) الوسيط للواحد ٣٢٩/٤، وتفسير الرازي ٧٠/٣٠.

رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ وَلَنْ تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَرَى فِي الْحَيَازِمِ^(١)
جمع حَيَزُوم، وهو وسط الصدر. وإذا حُسِفَ بإنسانٍ دارت به الأرض، فهو
المَؤر.

وقال المحققون: أمتم من فوق السماء؛ كقوله: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]
أي: فوقها، لا بالمماسَّة والتحيُّز، لكن بالقهر والتدبير. وقيل: معناه: أمتم من على
السماء؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَيْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها^(٢). ومعناه أنه
مُدبِّرُها ومالكُها؛ كما يقال: فلانٌ على العراق والحجاز، أي: واليها وأميرها.
والأخبارُ في هذا الباب كثيرةٌ صحيحةٌ منتشرة، مشيرةٌ إلى العلوِّ؛ لا يدفعها إلا مُلجِدٌ
أو جاهلٌ معاندٌ؛ والمرادُ بها: توقيُّرُه وتنزيُّهُه عن السُّفل والتَّحت. ووصفه بالعلوِّ
والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود؛ لأنَّها صفات الأجسام. وإنَّما تُرفع
الأيدي بالدعاء إلى السماء؛ لأنَّ السماءَ مَهْبِطُ الوحي، وَمَنْزِلُ القَطْرِ، وَمَجْلُ
القُدس، ومعدنُ المُطَهَّرين من الملائكة، وإليها تُرفعُ أعمالُ العباد، وفوقها عرشُه
وجنَّته؛ كما جعلَ الله الكعبةَ قِبْلَةً لِلصَّلَاةِ^(٣)، ولأنَّه خَلَقَ الأُمَّكَنَةَ وهو غير محتاجٍ
إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على
ما عليه كان.

وقرأ قُنبِل عن ابن كثير: «النُّشور وامتتم» بقلبِ الهمزة الأولى واواً وتخفيف
الثانية^(٤). وقرأ الكوفيون والبصريون وأهلُ الشام سوى أبي عمرو وهشام بالتحقيق^(٥)

(١) البيت لأبي حية النمري، وهو في الكامل ١/١٠٠، والألمالي ٢/٢٨١ قال في رغبة الأمل ١/٢٣٢:
فأقصدن القلوب: أصبناها؛ من قولهم: قصدت الرجل: إذا طعته أو رميته فلم تخطئ مقاتله. دمًا مائراً:
سائلاً، من مار الدم يمور: سال.

(٢) ينظر الأسماء والصفات للبيهقي ٢/٣٢٤، والمفهم ٢/١٤٤.

(٣) في (م): للدعاء والصلاة.

(٤) يعني في الوصل. السبعة ص ٦٤٤، والتيسير ص ٢١٢.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): بالتخفيف وهو خطأ.

في الهمزتين، وخَفَّفَ الباقون^(١). وقد تقدَّم جميعه^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل. وقيل: ريح فيها حجارة وحُصباء. وقيل: سحابٌ فيه حجارة. ﴿فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أي: إنذاري. وقيل: النذيرُ بمعنى المنذر؛ يعني: محمداً ﷺ، أي: فستعلمون صدقه وعاقة تكذيبكم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم؛ كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مَدْيَن، وأصحاب الرِّسِّ، وقوم فرعون. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ أي: إنكاري. وقد تقدَّم^(٤).

وأثبتَ وَرِش الياء في «نذيري، ونكيري» في الوصل. وأثبتها يعقوب في الحاليين. وحذفَ الباقون اتِّباعاً للمصحف^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ وَيَقِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ﴾ أي: كما دُلَّ الأرضَ لِلأدميِّ،

(١) غير أن أبا عمرو البصري وقالون يدخلان ألفاً بينهما. ولهشام التسهيل والتحقيق مع الإدخال فيهما، ولورش وجه آخر: الإبدال مع القصر. ينظر السبعة ص ٦٤٤، والتيسير ص ٢١٢، والنشر ١/٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) ٢٨٢/١ - ٢٨٣.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٣٠/٧٠.

(٤) ٤١٤/١٤.

(٥) التيسير ص ٢١٣، والنشر ٢/٣٨٩.

ذَلَّلَ الهَوَاءَ لِلطَّيُورِ. و«صَافَاتٍ» أي: باسطاتٍ أجنحتهنَّ في الجوّ عند طيرانها؛ لأنَّهنَّ إذا بسطنها صَفَقْنَ قوادمها^(١) صَفَاً. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضرِبْنَ بها جُنُوبَهُنَّ.

قال أبو جعفر النحاس: يقال للطائر إذا بسط جناحيه: صاف، وإذا ضمَّهما فأصابا جنبه: قابض؛ لأنه يقبضهما. قال أبو خراش:

يبادر جُنْحَ الليل فهو مُوَاتِلٌ^(٢) يَحْتِ الجناحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ^(٣)

وقيل: ويقبضن أجنحتهنَّ بعد بسطها: إذا وقفن من الطيران. وهو معطوفٌ على «صَافَاتٍ» عطف المزارع على اسم الفاعل؛ كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر:

بَاتَ يُعْشِيهَا^(٤) بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَاقِهَا وَجَائِرِ^(٥)

﴿مَا يُمْسِكُنَّ﴾ أي: ما يُمْسِكُ الطيرَ في الجوّ وهي تطير إلا الله عزَّ وجلَّ. ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءَ بَصِيرٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُهُ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا

فِي عُرُورٍ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ قال ابن عباس: حزبٌ وَمَنَعَةٌ لِّكُمْ^(٦).

(١) في (د) و(ز) و(م): قوائمها، وفي (ق) قواه، والمثبت من (خ) والكشاف ١٣٨/٤، والكلام منه. وقوادم الطير: مقاديم ريشه، وهي عشرٌ في كل جناح، الواحدة قادمة. الصحاح (قدم).

(٢) موائل: من وائل فلان موائلة ووثالاً: لجأ وخلص، ووائل الطائر: لاوذ بشيءٍ خوفاً من الصقر. المعجم الوسيط (وأل). ووقع في المصادر الآتية: مهابذ بدل: موائل. قال أبو علي القالي: المهابذ: المجاهد في العدو والسير، ويقال: أهدب وأهبذ؛ إذا اجتهد في الإسراع.

(٣) البيت في ديوان الهذليين ١٥٩/٢، والكامل ٧١٤/٢، والأمال ٢٧١/١.

(٤) في (م) يعشيبها. بالمهملة، وكذا رواية البيت في خزنة الأدب ١٤٠/٥. قال البغدادي: يعشيبها: أي يطعمها العشاء.. قال: ورأيت في أمالي ابن الشجري [٤٣٧/٢] في نسخة صحيحة قد صححها أبو الثمن الكندي، وعليها خطوط العلماء وإجازاتهم: «بات يعشيبها» بالغين المعجمة من الغشاء كالغشاء، بكسر أولهما وزناً ومعنى، أي: يشملها ويعمها.

(٥) المحرر الوجيز ٣٤٢/٥، والعضب: السيف، ويقصد أي: توسَّط ولم يجاوز الحد، وأسوق: جمع فلة لساق، وهي ما بين الركبة والقدم. خزنة الأدب ١٤١/٥ - ١٤٢.

(٦) تفسير البغوي ٣٧٢/٤.

﴿يَصْرُكُ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ فيدفع عنكم ما أراد بكم إن عصيتموه. ولفظ الجند يُوحَد؛ ولهذا قال: ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ وهو استفهام إنكار، أي: لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: من سوى الرحمن.

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ من الشياطين؛ تغرهم بأن لا عذاب ولا حساب^(١).

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عَتْوٍ وَنُفُورٍ﴾ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ﴾ أي: يعطيكم منافع الدنيا. وقيل: المطر من أهتكم. ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ يعني: الله تعالى رزقه. ﴿بَلْ لَجُوا﴾ أي: تمالأوا وأصرأوا. ﴿فِي عَتْوٍ﴾: طغيان ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الحق.

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر؛ «مُكِبًّا» أي: مُنْكَسًّا رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله؛ فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه؛ كمن يمشي سويًّا معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله^(٢). قال ابن عباس: هذا في الدنيا. ويجوز أن يريد به الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف^(٣)؛ فلا يزال يَنْكَبُ على وجهه، وأنه ليس كالرجل السويِّ الصحيح البصر^(٤) الماشي في الطريق المهتدي له. وقال قتادة: هو الكافر أكْبَّ على معاصي الله في الدنيا، فحشره الله يوم القيامة على وجهه. وقال ابن عباس والكَلْبِيُّ: عَنَى بالذي يمشي مُكِبًّا على وجهه أبا جهل، وبالذي يمشي سَوِيًّا رسول الله ﷺ.

(١) الوسيط للواحدى ٣٣٠/٤، وتفسير البغوي ٣٧٢/٤ بنحوه.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥٦/٦.

(٣) العسف والاعتساف: السير بغير هداية والأخذ على غير طريق. اللسان (عسف)

(٤) في (د) و(ق) و(م): البصير، وفي (ز): البصري، وفي (ظ) الباصر والمثبت من (خ) و(ف) وهو الموافق للكشاف ١٣٩/٤. والكلام منه.

وقيل: أبو بكر. وقيل: حمزة^(١). وقيل: عمّار بن ياسر؛ قاله عكرمة^(٢).

وقيل: هو عامٌّ في الكافر والمؤمن؛ أي: إنّ الكافر لا يدري أعلى حقّ هو أم على باطل، أي: أهذا الكافر أهدى، أو المسلم الذي يمشي سويّاً معتدلاً يُبصرُ الطريق وهو ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام؟^(٣).

ويقال: أكبَّ الرجلُ على وجهه؛ فيما لا يتعدّى بالألف. فإذا تعدّى قيل: كبّه الله لوجهه؛ بغير ألف^(٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أمر نبيّه أن يُعرّفهم فُبِح شركهم مع اعترافهم بأنّ الله خلقهم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ يعني القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: لا تشكرون هذه النعم، ولا تُؤخّدون الله تعالى^(٥). تقول: قلّما أفعلُ كذا، أي: لا أفعله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم في الأرض؛ قاله ابن عباس. وقيل: نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها؛ قاله ابن شجرة^(٦). ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ حتى يجازي كلّاً بعمله.

(١) الكشاف ١٣٩/٤، دون قوله: وقيل: أبو بكر.

(٢) النكت والعيون ٥٦/٦.

(٣) في (خ) و(ز) و(ف): وهو على طريق مستقيم وهو الإسلام.

(٤) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣٤٣/٥.

(٥) ينظر الوسيط للواحد ٣٣٠/٤.

(٦) النكت والعيون ٥٦/٦.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: متى يوم القيامة؟ ومتى هذا العذاب الذي تعدوننا به؟ وهذا استهزاءً منهم. وقد تقدم^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلْهَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلْهَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا محمد: علمت وقت قيام الساعة عند الله؛ فلا يعلمه غيره. نظيره: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] الآية.

﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مخوف ومعلم لكم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ مصدرٌ بمعنى مُزْدَلِفًا، أي: قريباً؛ قاله مجاهد^(٢). الحسن: عياناً^(٣). وأكثر المفسرين على أن المعنى: فلما رأوه يعني العذاب؛ وهو عذاب الآخرة. وقال مجاهد: يعني عذاب بدر^(٤). وقيل: أي: رأوا ما وعدوا من الحشر قريباً منهم. ودلَّ عليه ﴿مُحْشَرُونَ﴾. وقال ابن عباس: لما رأوا عملهم السيئ قريباً.

﴿سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فعمل بها السوء. وقال الزجاج^(٥): تُبَيِّنُ فِيهَا السَّوْءَ، أي: ساءهم ذلك العذاب، وظهر على وجوههم سِمةٌ تدلُّ على كفرهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَسَوْدٌ وُجُوهٌُ﴾ [آل عمران: ١٠٦]^(٦).

(١) ٥/١١

(٢) تفسير مجاهد ٦٨٦/٢، وأخرجه الطبري ١٣٦/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٣٥/٢٣.

(٤) تفسير البغوي ٣٧٣/٤.

(٥) في معاني القرآن ٢٠١/٥.

(٦) النكت والعيون ٥٧/٦.

وقرأ نافع وابن مُحَيِّصين وابنُ عامر والكسائي: «سيئت» بإشمام الضَّمِّ^(١). وكَسَرَ الباقون بغير إشمام طلباً للخِفَّة. ومن ضمَّ لاحظَ الأصل.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُتِمَ بِهِ تَدْعُونَ﴾ قال الفراء^(٢): «تَدْعُونَ»: تفتعلون من الدعاء. وهو قولُ أكثر العلماء، أي: تَتَمَنُّون وتَسْأَلُون. وقال ابنُ عباس: تَكْذِبُون؛ وتأويلُه: هذا الذي كُتِمَ مِن أَجْلِهِ تَدْعُونَ الأباطيل والأحاديث؛ قاله الزجاج^(٣).

وقراءةُ العامة: «تَدْعُونَ» بالتشديد، وتأويلُه ما ذكرناه. وقرأ قتادةُ وابنُ أبي إسحاق والضَّحَّاك ويعقوب^(٤): «تَدْعُونَ» مخفَّفةً. قال قتادة: هو قولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ﴾ [ص: ١٦]. وقال الضَّحَّاك: هو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَآءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]^(٥).

وقال أبو العباس: «تَدْعُونَ»: تستعجلون؛ يقال: دعوتُ بكذا: إذا طلبتَه؛ وأدَّعت: افتعلت منه.

النَّحَّاس: «تَدْعُونَ»، وتَدْعُونَ» بمعنى واحد؛ كما يقال: قَدَّر واقتَدَّر، وَعَدَى واعتَدَى؛ إِلَّا أَنَّ فِي «افتعل» معنى شيء بعد شيء، و«فَعَلَ» يقع على القليل والكثير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُحْيِرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَّهُ﴾ أي: قل لهم يا محمد - يريدُ مشركي مَكَّةَ، وكانوا يَتَمَنُّون موتَ محمدٍ ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرْوِيصٌ بِهِ رَبِّبٌ﴾

(١) التيسير ص ١٢٥ عن نافع وابن عامر والكسائي.

(٢) في معاني القرآن ١٧١/٣ بنحوه.

(٣) في معاني القرآن ٢٠١/٥. وفيه: والأكاذيب. بدل: والأحاديث.

(٤) قراءة يعقوب - وهو من العشرة - في النشر ٣٨٩/٢، وقراءة قتادة والضحَّاك في تفسير الطبري

١٣٧/٢٣، والمحتسب ٣٢٥/٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٣٧/٢٣.

الْمُؤْنِ ﴿[الطور: ٣٠]-: أَرَأَيْتُمْ إِنْ مِثْنَا، أَوْ رُحِمْنَا فَأُخِّرْتَ آجَالَنَا، فَمَنْ يَجِيرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؟ فَلَاحَاجَةٌ بِكُمْ إِلَى التَّرْبِصِ بِنَا، وَلَا إِلَى اسْتِعْجَالِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَأَسْكَنْ الْيَاءَ فِي «أَهْلَكْنِي»: ابْنُ مُحَيِّصِنَ، وَالْمُسَيَّبِيُّ، وَشَيْبَةُ، وَالْأَعْمَشُ، وَحِمْزَةُ^(١). وَفَتْحُهَا الْبَاقُونَ. وَكُلُّهُمْ فَتَحَ الْيَاءَ فِي «وَمَنْ مَعِيَ» إِلَّا أَهْلَ الْكُوفَةِ؛ فَإِنَّهُمْ سَكَّنُوهَا، وَفَتْحُهَا حَقْصٌ كَالْجَمَاعَةِ^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ﴾ قرأ الكِسَائِيُّ بِالْيَاءِ عَلَى الْخَبَرِ؛ وَرَوَاهُ^(٣) عَنْ عَلِيٍّ. الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الْخَطَابِ^(٤)، وَهُوَ تَهْدِيدٌ لَهُمْ. وَيُقَالُ: لَمْ أُخْرَ مَفْعُولٌ «أَمَّنَّا»، وَقَدَّمَ مَفْعُولٌ «تَوَكَّلْنَا»، يُقَالُ: لِيُوقِعَ «أَمَّنَّا» تَعْرِيفًا بِالْكَافِرِينَ حِينَ وَرَدَ عَقِيبَ ذِكْرِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَمَّنَّا وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ خِصُوصًا؛ لَمْ نَتَّكِلْ عَلَى مَا أَنْتُمْ مُكَلِّونَ عَلَيْهِ مِنْ رِجَالِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؛ قَالَه الرَّمَّحْشَرِيُّ^(٥).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أَي: غَائِرًا ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ لَا تَنَالُهُ الدَّلَاءُ. وَكَانَ مَاؤُهُمْ مِنْ بَثْرَيْنَ: بَثْرٌ زَمْزَمٌ وَبَثْرٌ مِيمُونٌ^(٦).

(١) قراءة حمزة في السبعة ص ٤٦٥، والتيسير ص ٢١٣، وقراءة المسيبي في السبعة ص ٤٦٥، والمححر الوجيز ٣٤٣/٥.

(٢) السبعة ص ٤٦٥، والتيسير ص ٢١٣.

(٣) في (ظ): وروى، وفي (ق): ورواية.

(٤) السبعة ص ٤٦٥، والتيسير ص ٢١٢.

(٥) في الكشاف ١٤٠/٤.

(٦) ينظر النكت والعيون ٥٧/٦، وتفسير البغوي ٣٧٣/٤. وقال ابن عطية في المححر الوجيز ٣٤٤/٥: ويشبه أن تكون هاتان عظمت ماء مكة، وإلا فكانت فيها بئار كثيرة كخم والجفر وغيرها.

﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي: جارٍ؛ قاله قتادة والضَّحَّاك^(١). فلا بدَّ لهم من أن يقولوا: لا يأتينا به إلا الله؛ فقل لهم: لِمَ تُشركون به من لا يُقدِر على أن يَأْتِيَكُمْ؟ يقال: غَارَ الماءُ يَغُورُ غوراً، أي: نَضِبَ. والغُورُ: الغائر؛ وُصِفَ بالمصدر للمبالغة؛ كما تقول: رجلٌ عَدْلٌ وِرْضاً^(٢). وقد مضى في سورة الكهف^(٣)، ومضى القولُ في المعنى في سورة المؤمنون^(٤). والحمد لله.

وعن ابن عباس: ﴿بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي: ظاهرٍ تراه العيون؛ فهو مفعول، وقيل: هو من: مَعَنَ الماءُ، أي: كَثُرَ، فهو على هذا فعيل^(٥). وعن ابن عباس أيضاً: أن المعنى فمن يَأْتِيكُمْ بماءٍ عَذْبٍ؟^(٦). والله أعلم.

(١) أخرج قولهما الطبري ١٣٩/٢٣.

(٢) تفسير الرازي ٧٦/٣٠.

(٣) ٢٨٤/١٣.

(٤) ٢٤ - ٢٣/١٥.

(٥) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٧٦/٣٠.

(٦) أخرجه الطبري ١٣٩/٢٣.